@ 558 @ وتتقون الرب العظيم ، كامل القدرة ، عظيم السلطان ؟ وفي هذا من لطف الخطاب ، من قوله : ! 2 2 ! والوعظ بأداة العرض الجاذبة للقلوب ، ما لا يخفى . ثم انتقل إلى إقرارهم بما هو أعم من ذلك كله فقال : ^ (قل من بيده ملكوت كل شيء) ^ أي : ملك كل شيء ، من العالم العلوي ، والعالم السفلي ، ما نبصره ، وما لا نبصره ؟ ^ (الملكوت) ^ صيغة مبالغة ، بمعنى الملك . ! 2 2 ! عباده من الشر ، ويدفع ، عنهم المكاره ، ويحفظهم مما يضرهم . ! 2 2 ! أي : لا يقدر أحد أن يجير على ا ، ولا يدفع الشر الذي قدره ا . بل ولا يشفع أحد عنده إلا بإذنه . ! 2 2 ! أي : سيقرون أن ا المالك لكل شيء ، المجير ، الذي لا يجار عليه . ! 2 2 ! لهم حين يقرون بذلك ، ملزما لهم ، ! 2 2 ! أي : فأين تذهب عقولكم ، حيث عبدتم من علمتم أنهم لا ملك لهم ، ولا قسط من الملك ، وأنهم عاجزون من جميع الوجوه ، وتركتم الإخلاص للمالك العظيم القادر المدبر لجميع الأمور ، فالعقول التي دلتكم على هذا ، لا تكون إلا مسحورة ، وهي بلا شك قد سحرها الشيطان ، بما زين لهم ، وحسن لهم ، وقلب الحقائق لهم ، فسحر عقولهم ، كما سحرت السحرة ، أعين الناس . ^ (بل أتيناهم بالحق وإنهم لكاذبون * ما اتخذ ا من ولد وما كان معه من إل ه إذا لذهب كل إل ه بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان ا عما يصفون * عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون) ^ يقول تعالى : بل أتينا هؤلاء المكذبين بالحق ، المتضمن للصدق في الأخبار ، العدل في الأمر والنهي ، فما بالهم لا يعترفون به ، وهو أحق أن يتبع ؟ وليس عندهم ، ما يعوضهم عنه ، إلا الكذب والظلم ولهذا قال : ! 22 ! . ! 2 2 ! كذب يعرف بخبر ا ، وخبر رسله ، ويعرف بالعقل الصحيح ، ولهذا نبه تعالى على الدليل العقلي ، على امتناع إلهين فقال : ! 2 2 ! أي : لو كان معه آلهة كما يقولون ! 2 2 ! أي : لانفرد كل واحد من الإلهين ، بمخلوقاته واستقل بها ، ولحرص على ممانعة الآخر ومغالبته . ! 2 ! 2 فالغالب ، يكون هو الإله ، فمن التمانع ، لا يمكن وجود العالم ، ولا يتصور أن ينتظم هذا الانتظام المدهش للعقول ، واعتبر ذلك بالشمس والقمر ، والكواكب الثابتة ، والسيارة ، فإنها منذ خلقت ، وهي تجري على نظام واحد ، وترتيب واحد ، كلها مسخرة بالقدرة ، مدبرة بالحكمة لمصالح الخلق كلهم ، ليست مقصورة على أحد دون أحد ، ولن ترى فيها خللا ، ولا تناقضا ، ولا معارضة في أدنى تصرف ، فهل يتصور أن يكون ذلك ، تقدير إلهين ربين ؟ ! 22 ! قد نطقت بلسان حالها ، وأفهمت ببديع أشكالها ، أن المدبر لها ، إله واحد ، كامل الأسماء والصفات ، قد افتقرت إليه جميع المخلوقات ، في ربوبيته لها ، وفي إلهيته لها .

فكما لا وجود لها ولا دوام ، إلا بربوبيته ، كذلك ، لا صلاح لها ولا قوام إلا بعبادته وإفراده بالطاعة . ولهذا نبه على عظمة صفاته بأنموذج من ذلك ، وهو علمه المحيط . فقال : ! 22 ! أي : الذي غاب عن أبصارنا ، وعلمنا ، من الواجبات ، والمستحيلات ، والممكنات . ! 22 ! وهو ما نشاهد من ذلك ! 2 2 ! أي : ارتفع وعظم . ! 2 2 ! به ، ولا علم عندهم ، إلا ما علمه ا . ! 2 2 ! لما أقام تعالى على المكذبين أدلته العظيمة ، فلم يلتفتوا إليها ، ولم يذعنوا لها ، حق عليهم العذاب ، ووعدوا بنزوله ، وأرشد ا رسوله أن يقول : ! 2 2 ! أي : أي وقت أريتني عذابهم ، وأحضرتني ذلك . ! 2 2 ! أي : اعصمني وارحمني ، مما ابتليتهم به من الذنوب الموجبة للنعم ، وارحمني أيضا من العذاب الذي ينزل بهم ، لأن العقوبة العامة ، تعم عند نزولها العاصي وغيره . قال ا في تقريب عذابهم : ! 2 ! 2 ولكن إن أخرناه فلحكمة ، وإلا ، فقدرتنا صالحة لإيقاعه . ! 2 2 ! هذا من مكارم الأخلاق ، التي أمر ا رسوله بها فقال : ! 2 2 ! أي : إذا أساء إليك أعداؤك ، بالقول والفعل ، فلا تقابلهم بالإساءة ، مع أنه يجوز معاقبة المسيء بمثل إساءته ، ولكن ادفع إساءتهم إليك ، بالإحسان منك إليهم ، فإن ذلك فضل منك على المسيء . ومن مصالح ذلك ، أنه تخف الإساءة عنك ، في الحال ، وفي المستقبل ، وأنه أدعى لجلب المسيء إلى الحق ، وأقرب إلى ندمه وأسفه ، ورجوعه بالتوبة عما فعل . ويتصف العافي بصفة الإحسان ، ويقهر بذلك عدوه الشيطان ، ويستوجب الثواب من الرب قال تعالى : ! 2 2 ! وقال تعالى : ^ (ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة ، كأنه ولي حميم * ما يلقاها) ^ أي : ما يوفق لهذا الخلق الجميل ^ (إلا الذين صبروا ، وما يلقاها إلا ذو حظ